

"التاريخ لا يفعل شيئاً فهو لا يملك ثراء فاحش ولا يقاتل في المعارك. ان بشرًا من لحم ودم هم من يصنع كل شيء، لأنهم هم من يشتري العتاد ويخوض الحروب"

ماركس: عن التاريخ

الصهيونية والتاريخ

هل يعد بيني موريس مؤرخاً جديداً حقاً؟! داني بيتر



داني بيتر



داني بيتر

صعوبات خاصة يواجهها المؤرخ الحالي للعاصر الذي لا يستطيع التجرد من شخصيته لدى محاكمة التهمين بظفان العصر، بينما لا يزال مئات الاف لضحايا يعيشون معنا، ولا ينطبق ذلك علينا أيضاً نحن الذين شاركنا في حرب 1948 من الجانب الاسرائيلي ولعبنا دوراً حاسماً في التسبب بالكنة الفلسطينية؟

ليس لدي شك في ان النضال من اجل قسامة الدولة الفلسطينية على 22% من مساحة ارض اسرائيل الانتدابية يشكل من وجهة نظر الفلسطينيين لهون الشورور، ومع ذلك فان هذه التسوية اللؤلؤة لا تزال سعيدة عن متناول يدهم. نحن "النتصرون" ونحن نتنصر اليوم تحت غطاء "مجازرة الارهابية". تعود القصة القديمة حول احتمية ولا لاحتمية في التاريخ، والتمارسات والافعال السلبية التي يرتكبها الطرف الحق في صراع (عمليات التفجير التي نفذها الفلسطينيون) لتكرر نفسها وان بمقتضى مبادئ مختلفة بطبيعة الحال. يمكن للفلسطينيين أيضاً وربما هم بالذات، اعادة طرح السؤال الساذج لبار اوبن بصيغة او دياحاجة فلسطينية: "ما الخيار لتناح لي ولزملائي في هذا الوقت؟ فهم من يملك الفطرات والديابات ونسنا نحن من يملكها".

لكن هذا سؤال كاذب مخادع، فالخيار حتى في ظل وقع وسع من احتمية قتانه ومناح دوما امام كل انسان وكل مجموعة. الشئ الختلاف دتما هو درجة او حجه ذلك الخيار ودرجة للاحتمية في مقابل احتمية. ويتسول كار عن التساومة: "لا يجوز للمؤرخ التخلي عن شأن التساومة... فقد كان للذين هزموا احساناً مساهم مهم في النتيجة النهائية بدرجة لا تقل عن مساهم الذين انتصروا". ومن هذه الزوية فقد كان لدينا (اي الذين حاربوا عام 1948) خيار مقاومة هدم القرى العربية وتحرير الفلسطينيين بدرجة لا تقل عن الدرجة المتاحة لكل فلسطيني. فاكان ذلك رايه حقاً - بالتصدي لانتحازيين ومن يقف وراءه (الكاتب البارز س. زهار فعل ذلك حقاً في قصصه عن تلك الايام، في "خرسه خزة" و"صير")،

الفلسطينية في غالبيتها الساحقة في تقديرها. وقول غالبيتها وليس كلها لأن الجزء الرئيسي في "عصبة التحرر الوطني" الفلسطينية التي كانت بزعامة توفيق طوبسي واميل حبيبي، قبل مشروع التسوية، قامت "العصبة"، وكتحصيل حاصل لهذا القبول، الى الوحدة اليهودية - العربية للحزب الشيوعي في عام 1948.

ما الذي يقصده بار اوبن عندما يقرر بصورة قاطعة ان موازين القوى بين الجيوش العربية التي اجتاحت البلاد لم تكن بالصورة التي رايناها في ذلك الوقت؟ هو لا يبرر بذلك الاجتياح، ومؤكده انه لا يعيد التفكير فيما جرى ولا تلغي ما قبل في صالح الذين حذرنا هذا الغزو ودروه على اعقابهم. كذلك لا داعي لأن يكون الانسان مؤرخاً باراً عا لكي يتفق مع بار اوبن بأنه لو لم تقع الحركة الصهيونية بمشروع جمع الشتات واستيطان البلاد... لكان مئات الاف للاجئين الفلسطينيين ما برحوا يعيشون حتى يومنا هذا فوق ارضهم.

معرفة، لم تظهر الزعامة الصهيونية نظرية استعلائية تجاه العرب فحسب، بل وتجاه اليهود الذين قدموا من اسيا وأفريقيا أيضاً. كذلك فقد رفعت الزعامة نفسها على يهود أوروبا، الذين كانت الينيش لغة ثقافتهم الزهريّة). وقد لجأت القيادة الصهيونية في سبيل تحقيق هذه الالينيولوجية الى سلسلة من الاعمال؛ احتلال الارض (حتى عام 1948 عن طريق الشراء والطرد لاصحابها العرب)، واحتلال العمل، والانتاج العبري بانشاء اتحاد مهني لليهود فقط (هستدروت)، وانشاء جهاز تعليم منفصل بشكلا دائم، وتنمية وتطوير لغة وثقافة منفصلتين.

ومعظم هذه الطرقي والاساليب في تحقيق الصهيونية، رفضت منذ البسدية من جانب اقلية صغيرة من الصهيونيين. وفي اعتقادنا سيأتي اليوم الذي سيدرس فيه اللقائل الامان جداً اللذان كتبتهما الفكر اليهودي احاد همام "حقيقة من ارض اسرائيل" (1891) و"سحق لشتاين مسألة غامضة" (1907) في كافة المدارس. من هذين اللقائل ساقطتس هنا عبارة واحدة فقط من مقال لشتاين والتي تتعلق مباشرة بموضوعنا... حيث دعا اليهود الى الابتعاد عن القومية ضيقة الاقوى التي لا ترى سوى نفسها... والالتصاف مع العرب بابرام ميثاق معهم، ويكون كبير الفائدة للجانبيين وللانسانية جمعاء.

ان أعداد ونظري السياسة الليبرالية لدى الزعامات الصهيونية زادت قليلاً بمرور السنوات عبر تحالف السلام الذي يضم كاديميين من اصل لاني، وحتى "العصبة الاثراكية"، وعمال اليهود والتعاون اليهودي. العربي التي حزير في 1942 بندين ميز لها عن لخط الساند جاء فيها: "ستقوم في هذه البلاد دتما دولة ثنائية القومية، ودون فرق بين الاغلبية او الاقلية"، ويمكن التوصل، الى حصر (نسب) هجرة متفق عليها لسنوات عديدة. وقد جرى التوقيع على البرنامج من جانب أشخاص كانوا في السابق اعضاء في تحالف السلام، وتضمنت اليهم احزاب صهيونية يسارية، "هشموير هشعير" و"العصبة الاثراكية"، و"عمال صهيون يساريون". وكما هو معروف، استمر نشاط العصبة حتى تشرين الثاني من عام 1947، وهي الفترة التي شهدت صدور قرار الامم المتحدة (قرار التسوية) واندلاع الحرب. وهناك أيضاً "اللجنة العربية العليا" التي مثلت الزعامة الفلسطينية، والتي ترأسها لسنوات طول االحاج امين الحسيني، لم تبحث بدورها ايضاً. ونامية مفهومة لكنها مغلوبة الكلياً عن مسؤلية للاتصال مع حركة الكيانيين من موطئها (موطن الزعامة الفلسطينية)، وعن اجل "ايرام ميثاق" معها ينطوي على فائدة جمة لسنتين، اي "لشتاين". وقد تدمى لحاج امين الحسيني عندما زل خلال الحرب العالمية الثانية، في اوج ايام الابداء، مصر قيادة هتلر، مغرباً عن استعادته لتقديم العون له. خلاصة القول، ان هجرة اليهود الى هذه البلاد كانت بحد ذاتها من وجهة نظري عملية حتمية، كونت هنا بالنتيجة مائة يهودية - اسرئيلية، اما طرق تحقيق العملية ورغم العوائق الصعبة فقد كان بإمكانها ان تكون مختلفة جداً.



اليهود في معسكر اوشفيتز النازي



رسم قديم للتقسيم 1839 م

كل مؤرخ يكتب عن الموضوع من وجهة نظره، وزمانه ومكانه... والتاريخ حواره لا نهائي بين لاضي والحاضر" (ص 64). "يجب السعي لفهم لاضي في ضوء الحاضر وفهم الحاضر في ضوء لاضي... ومن وجهة نظر المؤرخ فان ما لا يسعهم في هذه الهمة للزوجة يعتبر عقيباً ولا قيمة له" (ص 69).

الذي كان حتمياً والذي لم يكن حتمياً حسب ان كل مؤرخ يكتب عن الموضوع من وجهة نظره وزمانه ومكانه... فان هذا الامر ينسحب تلقائياً على المؤرخين موضع نقاشنا. فكلها يكتبها عن الحاضر (موريس) وعن لاضي (بار اوبن) من نقطة انطلاق تاريخية مشتركة، تركز على عدم احتمية، وترتبط لدى موريس بسبب موضوع عدم حتمية الحاضر، وبالتالي للتقبل مع عدم حتمية لاضي. وفيما يتعلق بماضينا فانه ميز بين الاثنين؛ بين حتمية تحول فلسطين الى وطن للشعبين، وبين طرق تحقيق هذه العملية التاريخية. وبالنسبة لتحقيق وحصول العملية في حد ذاته فقد بات ذلك حتمياً في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، وذلك من حيث الالاسامية والضائقة الاقتصادية واحا يتقافان بشكل مبرر الى ان يلفا او جهما في الكارثة (الحركة النازية) التي تعتبر (العمل الحركي). وقد حصلت النهضة القومية اليهودية في نفس الفترة التي شهد فيها العالم اجمع نهضة قومية (العمل الحضري)، وعندما اصبح تقرير الناصر القومي لليهود قابلاً للتحقق في هذه البلاد فقط، والتي رأى اليهود أنفسهم مرتبطين بها تاريخياً ودينياً (وقد كانت هناك محاولات اخرى لم تتكامل بالنجاح).

تتفق هائل للعدو في احتياحه للبلاد. وهو يؤكد عملياً بأن ذلك لم يكن انعكاساً حقيقياً لموازين القوى الفعلية طوال شهر الحرب، على الجبهات المختلفة". بالنسبة لشكيلة اللاجئين، يؤكد بار اوبن انه شارك شخصياً في احتلال قرى خلت من سكانها، ون زملاه طردوا لاجئين من قسمر لأن "مشكيلة اللاجئين الفلسطينيين لثقت في الحصلة نتيجة لظهور الصهيونية في البلاد. فلولا قيام الحركة الصهيونية بمشروع جمع الشتات اليهودي واستيطان البلاد... لكان مئات الاف اللاجئين (الفلسطينيين) ما زالوا يعيشون حتى يومنا هذا على ارضهم وبياراتهم".

على الرغم من وجود تباعد كبير بين موريس وبار اوبن في الواقع الاسرائيلي، الا ان هناك خلافاً جوهرياً و اساسياً بيني وبين الاثنين، انه خلاف تاريخي مسددي حول التاريخ. وليس صدفة على الاطلاق ان تقويمات بار اوبن تتحوّل الى حد كبير على اهتمام بيني موريس الحالي.

عن المقاومة في التاريخ "لا يجوز للمؤرخ التخلي عن شأن التساومة... وقد كان للذين هزموا في بعض الاحيان، مساهمة هامة في النتيجة النهائية وبدرجة لا تقل عن مساهمة الذين انتصروا" (ص 131). عن المعاصر "الصعوبة التي يواجهها المؤرخ للعاصر في فصل شخصيته عن كونه مؤرخاً حينما يبحث ويتناول فظان عصرنا... مستتالين، هتلر، مكارتى... تتبع بالذات من كون هؤلاء من ابناء عصرنا، وان مئات الالاف من الناس الذين عانوا من لعالمهم، ما زالوا يعيشون معنا. لهذا السبب بالذات يصعب علينا كمؤرخين التوجه اليهم كما يجب والتعاض عن حقتنا الانسانية في محاكمتهم على لعالمهم" (ص 85).

نشر المؤرخ بيني موريس في 16 نيسان 2002 مقالاً في ملحق جريدة "هارتس" ("اسميريم" - كتب) فيه كتابين صدر المر دخي بار اوبن، الاول بعنوان "الذاكرة نكثنا"، الذي يدور حول تاريخ حرب 1948، والثاني "حدود من دخان"، وهو عبارة عن تاملات في تاريخ دولة اسرائيل 1948 - 1967.

بداية تجدر الإشارة الى ان بيني موريس كان قد اصبح في الوعد الذي نشر فيه لصال، بيني موريس آخر... إذ لم يعد من لع "المؤرخين الجدد"، حيث كان قد كشف عن مشكلات اساسية في تاريخ الدولة، مثل مشكلتنا اللاجئين والعمليات الانتقامية. قبل شهرين فقط من تاريخ نشر لصال المذكور، اي في شباط 2002، نشر مقالاً في صحيفة "الغارديان" البريطانية، يتراجع فيه عن مساهمته لكسبر في عاصمة النام عن "النكبة" الفلسطينية والسؤالين عنها. وقد كتب في مقاله هذا اقولاً: "ان كل من استخدم يوحى بهدف لبر ز دور اسرائيل ومسؤوليتها، لم يأخذ بالحسبان انني لكدت في الخلاصة ان مشكيلة اللاجئين كانت حتمية، نتيجة للموقف الصهيوني باقسامة دولة يهودية على ارض مأهولة في غالبيتها بالفلسطينيين، ونتيجة للرفض العربي للمشروع الصهيوني". وفي ختام مقاله لكد موريس على وجهة نظره الغائلة بأن عرفات لا يستطيع... او لا يريد - اقامة سلام على 22% من ارض اسرائيل الانتدابية، والتي تشكل دولة اسرائيل 78% من مساحتها، وسط تنازل عن حق العودة.

وتأسيساً على ذلك يستنتج موريس مؤكداً: "اعتقد ان التوازن بين التفوق العسكري (الاسرائيلي) والتفوق الديمغرافي (الفلسطيني) هو الذي سيقرر مصير الدولة؛ فاما ان تكون فلسطين دولة يهودية دون وجود اقلية عربية كبيرة، او ان تكون دولة عربية تعيش فيها اقلية يهودية تتصاف لتاريخياً، او ان تصبغ رصاً محروقة نتيجة لاستخدام سلاح ناري، فتعدو غير تابعة لأي من الشعبين". بهذا الموقف الفكري يضع بيني موريس "الجديد" (وربما "غير الجديد" الى حد كبير) نفسه في الطرف اليميني للمجتمع الاسرائيلي، وهو كتخصيص حاصل لهذا الموقف، وهذا ما سابهته لاحقاً مما يسوقه في تقويمه للموقف مر دخي بار اوبن.